

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

فائدة - قال ابن درستويه في شرح الفصيح - وقد ذكر لفظه (وَجَدَ) واختلاف معانيها - هذه اللفظة من أَقْوَى حَجَجٍ من يزعمُ أن من كلام العرب ما يتَّفقُ لفظه ويختلف معناها لأن سبويه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فظنَّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظٌ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة وإنما هذه المعاني كلُّها شيءٌ واحد وهو إصابةُ الشيء خيراً كان أو شراً ولكن فرقوا بين المصادر لأن المفعولات كانت مختلفة فجعل الفَرْقُ في المصادر بأنها أيضاً مفعولة والمصادرُ كثيرة التمازيف جداً وأمثلةُها كثيرة مختلفة وقياسُها غامضٌ وعللها خفيَّةٌ والمفتشُّون عليها قليلون والصبرُ عليها معدومٌ فلذلك توهَّم أهلُ اللغة أنها تأتي على غير قياس لأنهم لم يضبطوا قياسها ولم يَقفوا على غَوِّها .

فائدة - قال ابن درستويه في شرح الفصيح : لا يكون فعَلٌ وأفعَلٌ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحالٌ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظنُّ كثير من اللغويين والنحويين وإنما سمعوا العرب تتكلمُ بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق فظنُّوا أنها بمعنى واحد وتأوَّلوا على العرب هذا التأويلَ من ذات أنفسهم فإن كانوا قد صدَّقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوزُ في الحكمة وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بيَّنا أو يكون على معنَين مختلفين أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه في كتابنا الذي ألفناه في افتراق معنى فعل وأفعال .

ومن هاهنا يجبُ أن يتعرَّف ذلك وأن قول ثعلب : وَقَفَت الدَّابَّةُ ووقفتُ أنا ووقفتُ وقفاً للمساكين لا يجوزُ أن يكونَ الفعلُ اللازمُ من هذا النحو والمجاوز على لفظ واحد في النظر والقياس لما في ذلك من الإلباس وليس إدخالُ الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب وواضعُ اللغة - عزَّ وجلَّ - حكيمٌ عليمٌ وإنما اللغةُ موضوعةٌ للإبارة عن المعاني فلو جاز وضعُ لفظ واحد للدلالة على معنَين مختلفين أو أحدهما ضدَّ الآخر لما كان ذلك إبارةً بل تَعَمِّيَّةً وتغطيةً ولكن قد يجيءُ الشيءُ النادرُ من هذا لعل كما يجيءُ فعَلٌ وأفعالٌ فيتوهَّمُ من لا يعرفُ العللَ أنهما لمعنيين مختلفين وإن اتفق اللفظان والسماعُ في ذلك صحيحٌ من العرب فالتأويلُ عليهم خطأٌ وإنما يجيءُ ذلك في لغتين متباينتين أو لحدِّف واختصار وقَعَ في الكلام حتى أشبه اللفظان وخَفِيَ سببُ ذلك على السامع وتأوَّل فيه الخطأ

